الدّرس رقم04/ الثّقافة والهيمنة" أنطونيو غرامشي":

****01/ التّعريف بغرامشي:***

هو فيلسوف ومناضل ماركسيّ إيطاليّ، ولد في بلدة "أليس" بجزيرة "ساردينيا" الإيطالية عام 1891، وهو الأخ الرّابع لسبعة أخوات، كان **يعاني** من قصر القامة وانحناء الظّهر بسبب إصابته بمرض "بوت" (سلّ العظام)، ومع ذلك لم يتوان عن تلقّي التّعليم وحبّ المعرفة، تلقّى دروسه في كليّة الآداب ب: "تورينو" بإيطاليا، ممّا جعله يعمل كناقد مسرحي عام 1916، بعدها **انضمّ** إلى الحزب الشّيوعي الإيطالي منذ تأسيسه وأصبح عضوا في أمانة الفرع الإيطالي، توفي عام 1937 عن عمر ناهز **46 سنة فقط**، بعيادة روما بعد أيام قليلة من إطلاق سراحه إثر إصابته بنزيف دماغي فتدهورت صحّته بشدّة جرّاء سنوات **سجنه** الطّويلة في ظروف سيّئة تحت حكم **الفاشيّة**؛ حيث أصيب بأمراض مزمنة. ومن أبرز مؤلّفاته العلميّة نذكر: دفاتر السّجن، قضايا الماديّة التّاريخية، أكره اللاّمبالين، في الوحدة القوميّة الإيطاليّة.

****01/المثقّف لدى "غرامشي":***

حسب "غرامشي" المثقّفون هم الّذين يمارسون دورا حيويا ومهما في **تكوين وبناء** الإيديولوجيات، وفي تدعيم **الموافقة أو القبول** إزّاء مواضيع أو أفكارا معيّنة، وكما أنّ التّماسك الاجتماعيّ وظيفة يقوم بها البناء الاجتماعيّ فإنّه (البناء الاجتماعيّ) أيضا وظيفة المثقّفين في المجتمع.

****02/ المفهوم الرّئيسيّ لدى "غرامشي":***

يشتهر غرامشي بنظريّة **الهيمنة الثّقافية**، والّتي تصف كيف تستخدم **الدّولة** والطّبقة الرّأسمالية الحاكمة البرجوازية، **المؤسّسات الثّقافية** للحفاظ على الثّروة والسّلطة والمجتماعات الرّأسماليّة.

****03/ مفهوم الهيمنة الثّقافية في النظريّة الغرامشيّة:***

__الهيمنة الثّقافية(Cultural Hegemony) مفهوم مركزيّ في فلسفة "غرامشي"، وهو أحد أبرز إسهاماته في الفلسفة السّياسية؛ يشير المفهوم إلى قدرة الطّبقة الحاكمة على **فرض** قيّمها ومعاييرها الثّقافيّة والاجتماعيّة كقيّم ومعايير عامّة يقبلها **المجتمع** بأكمله، وتصبح **كحسّ مشترك** طبيعيّ ممّا يضمن قبول المحكومين طواعيّة بها، تستخدم البرجوازيّة **مؤسّسات** (التّعليم، الإعلام، الدّين) لترسيخ هذه الهيمنة ممّا يجعل النّضال ضدّها يتطلّب **حرب مواقع** فكريّة وثقافيّة وعبر المثقّفين العضويين.

****04/ أبرز مفاهيم الهيمنة الثّقافية لدى "غرامشي":***

-أ/ الهيمنة مقابل القسر: يفرّق "غرامشي" بين "الدّولة" (القسر/ العنف) و"المجتمع المدني" الّذي يمثّل "الهيمنة والرّضا".

-ب/ المثقّفون العضويون: هم مثقّفون يمثّلون **مصالح** طبقتهم (الكادحة)، ويساهمون في بناء التّاريخ بنشر **الوعيّ**، وهم يقفون **ضدّ** المثقّفين التّقليديين الّذين يمثّلون الحيّاد تارة ويعملون ضمن إطار القيّم السّائدة، تعزيزا للهيمنة الثّقافية.

-ج/ الحرب على المناورة: وهي المواجهة **المباشرة** مع السّلطة من خلال الثّورات أو الحروب، وهي تقريبا عكس حرب المواقع.

-د/ حرب المواقع (war of position):استراتيجيّة **طويلة** الأمد للطّبقة العاملة لبناء هيمنة **مضادّة** داخل المجتمع **المدني** (مدارس، نقابات) قبل الاستلاء على السّلطة السّياسية.

-هـ/ الحسّ المشترك (common sense): ينتج عن الأفكار **السّائدة** الّتي تتبنّاها **الجماهير** وتجعل من الهيمنة تبدو أمرا طبيعيا ومنطقيا.

-و/ الكتابة التّاريخية: (Historical Bloc): وقد تنتج من **التّلاحم ب**ين البنية التّحتية (**الاقتصاد**) والبنية الفوقيّة (**الثّقافة والأيديولوجيا**).

-ز/أدوات الهيمنة: يتّم ترسيخ الثّقافة المهيمنة عبر **وسائل** الإعلام، النّظام التّعليميّ، الكنيسة، حيث تعمل كأدوات لتشكيل الوعيّ وضمان الخضوع.

-ح/ الهدف من النظريّة: نقد الماركسيّة التّقليدية الّتي ركّزت على **الاقتصاد** فقط، وإبراز أهميّة "البنية الفوقيّة" (**الثّقافة**) في الصّراع الطّبقي، داعيا إلى إنشاء ثقافة بديلة ومقاومة.

****05/ النّظرية النّقدية:***

وجّه "غرامشي" نقدا لاذعا لما أسماه "**الاقتصادوية**" (Economism)، وهو التّصور الّذي يختزل كلّ أشكال الصّراع الاجتماعيّ في العامل الاقتصاديّ فقط، أكّد "غرامشي" أنّ الصّراع الطّبقي لا يقتصر على الاقتصاد، بل يشمل مجالات أخرى مثل: الثّقافة والأيديولوجيا، لذا رأى أنّ الثّورة الاشتراكية تتطلّب استراتيجيات تتجاوز التصوّر التّقليدي القائم على السّيطرة على وسائل الإنتاج لتشمل أيضا بناء بدائل ثقافيّة وفكريّة.

كما انتقد "غرامشي" **الحداثة** بوصفها مشروعا يعزّز الهيمنة الرّأسمالية، حيث تعمل المؤسّسات الحديثة على **تحويل** الأفراد إلى أدوات ضمن آليات السّوق، ممّا **يضعف** قدرتهم على التّفكير النّقدي والمقاومة.

*الحديث عن النظريّة النّقدية في الفكر الغرامشيّ يجرّنا إلى الحديث عن مصطلح بارز فيها يتمثّل في مصطلح "**البراكسيس**" **(Paraxis)**، هذا الأخير الّذي يعدّ جوهر "**فلسفة الممارسة**"، حيث يدمج بجدليّة بين النّظرية والتّطبيق العلميّ **لتغيير** الواقع الاجتماعيّ والسّياسي، هي ممارسة إنسانيّة واعيّة نقديّة إبداعيّة، تمثّل "التّاريخ الحيّ قيد التكوّن"، وتهدف إلى **كسب** الهيمنة الثّقافية عبر "حرب المواقع" بواسطة المثقّفين العضويّين.

*واستخدم غرامشي هذا المصطلح **(البراكسيس)** كبديل للماركسيّة في كتاب "دفاتر السّجن"، لتجنّب الرّقابة وللتّأكيد على أنّ الماركسيّة هي منهج نشط وعمليّ وليس حتميّة تاريخيّة جامدة، والبراكسيس ليس نشاطا ع**شوائيا**، بل هو **ممارسة** مستنيرة بنظريّة تتجسّد في واقع ملموس، **وكلّ إنسان** بإمكانه أن يمارس البراكسيس، أي يشارك في بناء التّاريخ عبر عمله وفكره، باختصار؛ البراكسيس عند "غرامشي" هو الأداة **التحرّرية** الّتي تحوّل الوعي الفرديّ إلى كتلة تاريخيّة قادرة على إحداث تغيير جذري في البنية الفوقيّة (الثّقافة والسّياسة) والبنية التّحتيّة (الاقتصاد) للمجتمع.

06/ إرث غرامشي وتأثيره العالميّ:

تجاوز "**غرامشي**" حدود إيطاليا **ليصل** إلى مختلف أنحاء العالم، فقد ألهمت أفكاره الحركات الاجتماعيّة والسّياسية في أمريكا الاّتينية وإفريقيا وآسيا؛ حيث **تبنّتها** حركات التّحرر الوطنيّ والتّنظيمات التقدّميّة لمواجهة الاستعمار والهيمنة الثّقافية الغربيّة.

وفي السّياق الأكاديميّ **أثّرت** كتابات "غرامشي"، على العديد من التّخصّصات مثل: علم الاجتماع، النّقد الثّقافي، الفلسفة، السّياسة، وتعتبر مفاهيمه حول الهيمنة والثّقافة والمجتمع المدنيّ أدوات تحليليّة رئيسيّة لفهم التّغيّرات الاجتماعيّة والسّياسية المعاصرة.

الخاتمة: تكمن **أهميّة** "غرامشي" في كونه مفكّرا سبق عصره؛ حيث قدّم رؤى نقديّة تتجاوز الإطار التّقليدي للصّراع الطّبقي الماركسيّ، لتشمل الأبعاد الثّقافية والفكريّة للصّراع، ومع ذلك **تظلّ** أفكاره حيّة وملهمة في مواجهة التّحديّات الّتي يفرضها النّظام الرأسماليّ المعولم اليوم، في عالم يشهد تصاعدا في أشكال الهيمنة الثّقافيّة والإعلاميّة، يبقى **استلهام** "غرامشي" ضرورة لفهم آليات **السّلطة** وبناء بدائل ثقافيّة وأيديولوجيّة تفتح أفقا جديدا للتحرّر والعدالة الاجتماعيّة.